تحديد الإشكالية في البحوث الإنسانية

بين صعوبة التموقع الإبستمولوجي للباحث ومواجهة العقبات الإبستمولوجية

د.كلفاح أمينة : جامعة البليدة 2

مقدمة:

إن إعداد البحوث والدراسات العلمية في مختلف التخصصات هو بمثابة مهارة من الضروري أن يتمتع بها جميع المشتغلين في حقل البحث العلمي عبر مختلف الجامعات ومراكز البحث سواء كانوا باحثين بدوام كامل أومن أعضاء هيئة التدريس أو طلبة الدراسات العليا، فالبحث العلمي يلعب دورا أساسيا في عمليات تطوير وتنمية المجتمعات، نظرا لقدرته على الوصول إلى إجابات وحلول للكثير من الأسئلة والإشكالات التي تواجه الأفراد والمجتمعات في مختلف جوانب الحياة.

والبحث العلمي هو عبارة عن عملية تراكمية تحتاج إلى أن يكون الباحث في متابعة مستمرة لمستجدات الساحة العلمية في مجال تخصصه، فالعلم هو عبارة عن واقع متغير يجب أن تتم مجاراته على الدوام، والوقوف على مكامن النقص أو الجدة فيه، ويكون ذلك من خلال التعامل مع الظواهر بعين مختلفة عن عين الشخص العادي، هي عين فاحصة ممحصة ناقدة تطرح إشكاليات وتبحث عن إجابات، معتمدة في ذلك على مناهج وأساليب علمية تتغير تبعا لحقل البحث ولطبيعة الموضوع.

ولعل إشكالية البحث في العلوم الإنسانية هي من أقل المواضيع المنهجية دراسة كما يجمع عليه الكثير من الباحثين في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية على العموم، ولعل السبب في ذلك هو إبستمولوجي قبل أي شيء آخر، حيث هنالك تخوف من أن تؤدي محاولة تقديم تعريف دقيق لمصطلح الإشكالية إلى حصرها في إطار منهجي معين ومن ثم الوقوع في فخ الذاتية الذي يجب أن يتجنبه البحث العلمي، وطرح إشكاليات موجهة وكأننا نتوقع نتائجها مسبقا.

ومن هذا المنطلق تأتي هذه الورقة البحثية التي نسعى من خلالها إلى التطرق لموضوع صعوبة تحديد إشكالية البحث في العلوم الإنسانية، والتي تعد من أهم مراحل تصميم البحوث العلمية حيث أنها تؤثر بشكل كبير على جميع مراحل إعداد البحث، فعلى أساسها يتم تحديد نوعية البحث وطبيعة المناهج والأدوات المعتمدة خلال الدراسة، كما يدور البناء الكلي للبحث منهجيا ونظريا وتطبيقيا على الإشكالية التي انطلق منها الباحث.

ونهدف من خلال هذا المقال إلى توضيح صعوبات التموقع الإبستمولوجي للباحث في العلوم الإنسانية عند تحديد إشكالية الدراسة، والذي من شأنه أن يجنب البحوث الاجتماعية والإنسانية الوقوع في فخ تكرار الإشكاليات من جهة، وإضفاء الصبغة العلمية على حقل الدراسات الإنسانية من جهة أخرى.

أولا: في إشكالية الفهم:

يجمع الباحثون في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية عموما على أن الإشكالية هي من أكثر المفاهيم غموضا وأقلها تعريفا بالمقارنة مع البحوث في مجالات العلوم الطبيعية والفيزيائية، حيث لا تستغني هذه الأخيرة أبدا عن الانطلاق من إشكاليات واضحة ودقيقة لوصف تخصصاتهم أو مجالاتهم البحثية، حيث يرى كلا من " **karl Popper**" و "**Thomas Kohn**" والعديد من الباحثين المهتمين بفلسفة العلوم بأن الباحثين في مجال العلوم الدقيقة هم أكثر وعيا بالإشكاليات التي تطرح في مجال تخصصاتهم، على عكس الباحثين في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية الذين ونتيجة لطبيعة مواضيع بحثهم و طرق وأساليب تنظيمهم وإجراءهم للبحوث، لا يتمتعون بنفس قدرة الباحثين في المجالات العلمية الأخرى في صياغة إشكاليات واضحة ودقيقة لمواضيعهم من جهة ، وتقديم إجابات صريحة لهذه الإشكاليات من جهة أخرى[1]، ولعل تحديد إشكالية البحث هو أصعب من إيجاد الحلول لها[2].

فتحديد الإشكالية البحثية يمثل الخطوة الأولى في الدراسات العلمية، حيث يسعى الباحث إلى معرفة أبعاد الظاهرة التي يسعى إلى دراستها بصورة دقيقة وتحديد كافة المظاهر التي تتجلى فيها المشكلة سواء كانت صعوبات أو نقص أو قصور في المعلومات المتاحة أو تناقض فيما بينها[3].

وتعرف الإشكالية بأنها :"جملة استفهامية تسأل عن العلاقة بين متغيرين أو أكثر" وهي أيضا: "التساؤل البحثي الرئيسي الذي يسعى الباحث إلى الإجابة عنه، ويجب عدم الخلط بينها وبين موضوع البحث والذي يمثل مجالا عاما

---

[1] Andre G ; La **notion de problematique en sciences sociales,** in communication, et information ,Media théories,Volume 15, n 02, automne, 1994, p 120

[2] أحمد بدر، **أصول البحث العلمي ومناهجه**، المكتبة الأكاديمية،د ب، 2017.

رقية بوسنان، **مشكلة البحث، المفهوم، الصياغة، الخصائص**، مجلة الباحث الإعلامي، المجلد 10،العدد 39، 2018 ، جامعة بغداد، ص 80.[3]

يتعلق بأحد أبعاد الظاهرة"[1]. والواقع أن أغلبية التعاريف المقدمة لهذا المفهوم تتشابه إلى حد كبير، و تتفق جميعها أيضا على ضرورة أن تكون إشكالية البحث ذات دلالة وأصالة وأن تكون قابلة للدراسة، كما يجب أن يقيم الباحث الإشكالية المقترحة على ضوء قدراته وتوفر المعلومات والمتطلبات المادية للمشروع والوقت المتاح والصعوبات الأخرى التي يمكن أن تواجهه[2].

وهنا يكون على الباحث تحديد موقعه الإبستمولوجي تجاه الموضوع المراد دراسته والذي سوف يبرر خياراته المنهجية والأدوات التي اعتمد عليها في بحثه، حيث أن التفكير الإبستمولوجي يساعد الباحث على التحرر من القوالب الجاهزة وزوايا النظر الأحادية التي تهيمن على طرق التفكير وإنتاج المعرفة، وإلى الانفتاح على مسارات النقد والتجديد استجابة لحركية العلم وحيويته[3] ، وهذا ما يبرر الاهتمام المتزايد من قبل الباحثين في مجالات البحوث الإنسانية والاجتماعية بمسألة التموقع الإبستمولوجي الذي يعتبر الأرضية التي يتم الانطلاق منها لتوجيه الدراسة ككل[4]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فحتى لو تمكن الباحث من تحديد تموقعه الإبستمولوجي تجاه المشكلة أو موضوع البحث الذي يسعى إلى دراسته فإن هذا لا يجعله في منأى عن مواجهة العديد من التحديات والصعوبات التي أطلق عليها "**غاستون باشلار**" ب"**العقبات الإبستمولوجية**" والتي يجب أن تكون دائما صوب عينين الباحث يتوقع مواجهتها في أي مرحلة من مراحل بحثه.

ثانيا: الإشكالية وموقعها في البحوث الإنسانية:

تمثل مسألة طرح إشكالية عدة صعوبات منهجية، وذلك راجع بالأساس إلى غموض هذا المفهوم كما سبق وأشرنا إليه أعلاه، بالإضافة إلى عدم قدرة العديد من البحثين من ضبط مواضيعهم والانطلاق من إشكاليات محكمة . وفي العلوم الاجتماعية تزداد صعوبة تحديد مشكلة البحث نظرا لتداخل الظواهر والمتغيرات المؤثرة والمتأثرة بالظاهرة محل

---

[1] محمد محمود ربيع وآخرون، **موسوعة العلوم السياسية**، جامعة الكويت، الكويت، 1994، ص44.

[2] أحمد بدر، **أصول البحث العلمي ومناهجه**، المكتبة الأكاديمية،د ب، 2017، ص 86.

[3] شهرزاد لمجد، **اتصال الأزمات ودوره في إدارة وتسيير المؤسسات الإعلامية العربية، دراسة وصفية تحليلية مقارنة لقناتي الجزيرة والعربية**، أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، 2017-2018، ص 61.

[4] نفس المرجع، ص 63.

البحث، وصعوبة تحديد العلاقات التي تربط بين هذه المتغيرات والظواهر[1]، بالإضافة إلى تعدد المناهج التي تعتمدها هذا النوع من الدراسات وتنوع أدواتها البحثية.

ومسألة تحديد الإشكالية تواجه جميع الباحثين من مختلف التخصصات العلمية لأنها مرحلة مهمة وحساسة يمكن تجاوزها الباحث من المضي في بحثه بسلاسة أكبر، لذلك تحتل مكانة مهمة في البحث العلمي، والمهتمون بدراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية يولون اهتماما كبيرا لمرحلة تحديد الإشكالية نظرا لكونهم دائما تحت مجهر الإبستمولوجيا في سعيهم إلى الوصول ببحوثهم ودراساتهم إلى أعلى مستويات الدقة العلمية منهجا وأدواتا و نتائجا.

1 -الفرق بين إشكالية البحث وموضوع البحث:

في الكثير من الأحيان يكون السبب وراء مواجهة الباحث لصعوبة في ضبط إشكالية بحثه هو الخلط بين موضوع الدراسة وإشكالية الدراسة فالأمرين مختلفين تماما، فموضوع أو مجال البحث هو أشمل وأعم وهو بداية الباحث للانطلاق تجاه تحديد إشكالية دقيقة، والمجال العام للبحث يرتبط بتخصص الدارس ومجال خبرته. فموضوع أو مجال البحث هو: "حقل معرفي عام يجب دراسته والإلمام به قبل البدء في التنقيب والبحث واختيار وصياغة المشكلات البحثية التي هي غالبا قضية تطبيقية محدودة الزمان والمكان والعلاقات والآثار. فلا يمكن إعداد وصياغة مشكلة البحث إلا بعد مسح المجال العلمي"[2].

ويعرف موضوع البحث كذلك بأنه:"المجال المعرفي الذي يختاره الباحث، والذي يشكل بالنسبة إليه أرضية صالحة لإثارة الإشكاليات والجواب عنها"[3]. وهنالك من يعرفه أيضا بأنه: "العنوان الذي يترجم مجال الاهتمام الذي يريد الباحث البحث فيه"[4].

---

[1] محمد سيد حمزاوي، **اختياروصياغة مشكلات البحث في العلوم الإدارية والأمنية**، ورقة بحث مقدمة للملتقى العلمي الأول: تجويد الرسائل والأطروحات العلمية وتفعيل دورها في التنمية الشاملة والمستدامة، 10-2011/10/12، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية، ص 03.

[2] عبيدات ذوقان، **البحث العلمي: مفهومه وأدواته وأساليبه**، دار الفكر، عمان، 2003، ص179.

[3] محمد الغالي، **المختصر في أسس ومناهج البحث في العلوم الاجتماعية**، ط1، مكتبة المعرفة، مراكش، 2005، ص 53.

[4] سعيد سبعون، **الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع**،ط1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2012، ص9.

فتحديد موضوع الدراسة من قبل الباحث هي من الخطوات المنهجية المهمة للانطلاق في البحث، ويرتبط اختيار الموضوع بجملة من التساؤلات المهمة مثل: لماذا سيتم الاهتمام بهذا الموضوع دون آخر؟ هل المشكل الذي يفكر فيه الباحث هو مشكل حقيقي؟ ما هي جوانب الجدة التي يحملها هذا الموضوع؟ ما هي أهمية هذا الموضوع وما هي صعوباته؟ ما هي النظريات التي وظفت في تناول هذا الموضع في الدراسات السابقة؟ [1]

ومن المعايير التي يجب أخذها بعين الاعتبار عند تحديد الإشكالية، نذكر[2]:

–التخصص: والمقصود هنا هو تخصص الباحث ومدى إلمامه بتخصصه العلمي نظريا وعمليا، وأدواته الخاصة، وطرقه و ميادينه ومجالات عمله.

–حداثة المشكلة: على الباحث اختيار إشكالية جديدة لم يسبق لأحد دراستها من قبل.

–الأهمية العلمية: يجب أن تتمتع الإشكالية المختارة للدراسة بأهمية واضحة في مجال التخصص العلمي الذي ينتمي إليه الباحث.

–توفر المصادر والمراجع: ومدى توفر المعلومات والبيانات والمصادر العلمية الدقيقة والحديثة و المتعلقة بموضوع الدراسة، وسهولة الوصول إليها والحصول عليها.

–توفر الإمكانات والموارد المادية والبشرية: حتى تكون هناك إمكانية لدراسة الإشكالية بشكل علمي جاد ودقيق.

2–مستويات إشكالية البحث[3]:

[1] لويزة سعيد، **إشكالية طرح إشكالية محكمة (ممنهجة) في العلوم الاجتماعية**، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 20، جوان 2018، جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف، الجزائر. ص 183.

[2] نفس المرجع، ص ص 183-184.

[3] محمد سيد حمزاوي **اختياروصياغة مشكلات البحث في العلوم الإدارية والأمنية**، ورقة بحث مقدمة للملتقى العلمي الأول: تجويد الرسائل والأطروحات العلمية وتفعيل دورها في التنمية الشاملة والمستدامة، 10-2011/10/12، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية، ، ص ص 12-13.

كما سبق وأشرنا إليه من قبل، فإن تحديد الإشكالية البحثية يمر بمجموعة من المراحل الأساسية والتي تتشابه بغض النظر عن التخصص أو موضوع البحث، ومن أهم المستويات التي تمر بها عملية الوصول إلى ضبط الإشكالية نجد:

- التعرف على ظاهرة لم تدرس من قبل.

- معرفة سبب أو تفسير ظاهرة معينة إما من خلال السؤال المباشر عن الأسباب أو العوامل أو المتغيرات التي أدت لحدوث هذه الظاهرة، أو بالسؤال عن دور ظاهرة ما في حدوث الظاهرة موضوع البحث.
- توقع أو التنبؤ باتجاهات الظاهرة محل البحث
- التحكم في ظاهرة البحث من خلال تطويرها أو تفعيلها أو تغييرها في الاتجاهات المطلوبة

3-اختيار إشكالية البحث:

قد يكون لدى الباحث موضوع يثير اهتمامه يسعى إلى تناوله بالدراسة، لكن لما يصل إلى مرحلة تحديد الإشكالية يجد نفسه أمام عقبة ليس من اليسير تجاوزها، حيث يكون مضطرا إلى تحديد تموقعه الإبستمولوجي بالمقارنة مع كل الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع والإشكاليات التي انطلقت منها، لذلك هنالك جملة من الاعتبارات التي يجب الاهتمام بها عند اختيار إشكالية البحث والتي من شأنها أن تسهل على الباحث تجاوز هذه المرحلة بيسر أكثر[1]:

- الاستعانة بآراء الأكاديميين والخبراء في مجال البحث في مجال البحث للمساعدة على توضيح الطرق الصحيحة الواجب إتباعها عند تناول المشكلة، وهذا من شأنه أن يوفر على الباحث الكثير من الوقت والجهد.

- الاطلاع على البحوث والدراسات السابقة المتعلقة بموضوع البحث، لأنها تعرف الباحث بما توصل إليه الباحثون قبله حول الموضوع، حيث يجب أن ينطلق الباحث في إشكاليته من حيث توقف باحثون آخرون.

- مراعاة الوقت اللازم لحل الإشكالية والانتهاء من البحث، فليس على الباحث أن يقحم نفسه في مواضيع وإشكاليات يصعب التحكم فيها أو تأخذ وقتا أكثر من المطلوب في دراستها.

[1] رقية بوسنان، **مشكلة البحث، المفهوم، الصياغة، الخصائص**، مجلة الباحث الإعلامي، المجلد 10،العدد 39، 2018 ، جامعة بغداد، ص ص 87-88.

– التأكد من حداثة الإشكالية ومن عدم دراستها من قبل باحثين آخرين.

– التعرف على الصعوبات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي ينمن أن تحيط بإشكالية البحث، من أجل الأخذ بعين الاعتبار الصعوبات التي قد يواجهها الباحث خلال إجراءه للدراسة وأسلوب مواجهة تلك الصعوبات ومدى قدرتها على التأثير في نتائج الدراسة مستقبلا.

ثالثا: موقع الإبستمولوجيا من تقنيات إدراك المشكلة:

1– في ماهية الإبستمولوجيا:

توصف الإبستمولوجيا على أنها نوع من الدراسات التي تتخذ المعرفة عامة والفكر العلمي خاصة موضوعا لها[1]، وينظر إلى الإبستمولوجيا على أنها نسق من المعتقدات الفلسفية التي تتناول من بإمكانه أن يكون عارفا وما الذي بالإمكان معرفته، وبجانب تساؤل الإبستمولوجيا عمن بإمكانه أن يكون عارفا وعما بالإمكان معرفته، فإنها تعالج طريقة خلق المعرفة، وتقوم الأسئلة، والمسلمات، والاعتقادات التي يجلبها معه الباحث إلى العملية البحثية سواء ما كان منها شعوريا أو لا شعوريا، فهي تقوم بدور الأساس المبدئي لأي نظرية إبستمولوجية[2].

ولفظ الإبستمولوجيا لم يكن معروفا ولا مستخدما حتى مطلع القرن العشرين، حيث ورد لأول مرة في ملحق معجم لاروس عام 1906، وقد خلت منه تماما المعجم والقواميس التي ظهرت قبل هذا التاريخ، والثابت تاريخيا أن أول من استخدم هذا اللفظ "إبستمولوجيا"هو J.F. Ferrier في كتابه Institutes of metaphysics والذي صدر عام 1854[3].

2- **تعريف الإبستمولوجيا:**

من أهم التعريفات التي تناولت هذا المفهوم، تعريف "لالاند" في معجمه الفلسفي المشهور، حيث يقول:" تعني هذه الكلمة فلسفة العلوم ولكن بمعنى أكثر دقة: فهي ليست الدراسة الخاصة لشتى المناهج العلمية، لأن موضوع هذه

---

[1] جنان محمد أحمد، **الإبستمولوجيا المعاصرة وبنائية تشكيل فنون ما بعد الحداثة**، ط1، إثراء للنشر والتوزيع، الأردن، 2014، ص 23.

[2] شارل هس بيير، باتريشيا ليفي، **البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية**، ترجمة، هناء الجوهري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011، ص ص 88-89.

[3] روبير بلانشيه، **نظرية المعرفة العلمية (الإبستمولوجيا)**، ترجمة، حسن عبد الحميد، مطبوعات الجامعة، الكويت، 1986، ص 7.

الدراسة هو علم مناهج البحث وهو جزء من المنطق، كما أنها ليست أيضا تأليفا واستباقا حدسيا للقوانين العلمية (على طريقة الفلسفة الوضعية).إنها –أساسا– ذلك البحث الذي يعالج معالجة نقدية مبادئ العلوم المختلفة وفروعها ونتائجها بهدف التوصل إلى إرساء أساسها المنطقي، كما أنها تنشد تحديد قيمة هذه العلوم ودرجة موضوعيتها".[1]

أما "بياجيه" فيرى بأن الإبستمولوجيا هي: " تحليل المعرفة استنادا إلى غاياتها الخاصة ومن خلاله إطارها الخاص"، وهي: " دراسة المعارف الصالحة، وتهتم أساس بالأسئلة التالية: ما هي المعرفة؟وكيف تطورت؟ وما هي قيمتها؟ وتتداخل العمليات الإبستمولوجية لتتحدد مهمتها بالكشف عن مصدر الأدوات العقلية المجردة وقيمتها ومدى فعاليتها في اكتشاف حقيقة الواقع المادي[2].

لقد اتخذ مصطلح الإبستمولوجيا عبر تاريخ استخدامه العديد من الدلالات، وانتهى إلى معناه المعاصر بكونه: " الدراسة النقدية للمعرفة العلمية، وفيه اتجهت الإبستمولوجيا إلى تحددي الأسس التي يرتكز عليها العلم والخطوات التي يتألف منها، وإلى نقد العلوم والعودة إلى المبادئ العميقة [3].

3– خصائص الابستمولوجيا:

تقول "لينا سوليير" بأن: " الإبستمولوجيا تساءل طبيعة وقيمة مبادئ، ومفاهيم، ومناهج، ونتائج العلوم، وهذا يمنحها خاصيتين باررزتين[4]:

– إنها خطاب تدبري: بمعنى خطاب يسقط نفسه على العلوم، فالإبستمولوجيا بهذا تفترض إذا بشكل مسبق وجود العلم وتأتي بالضرورة واللزوم بعده.

– هي خطاب نقدي: فهي لا تكتفي بوصف العلوم بدون محاكمتها،

– إنها تعمل فوق كل ذلك على مناقشة سلامة تأسيس المقترحات الفكرية والمناهج العلمية ومداها.

---

[1] نفس المرجع، ص8.

[2] جنان محمد أحمد، **الإبستمولوجيا المعاصرة وبنائية تشكيل فنون ما بعد الحداثة**، ط1، إثراء للنشر والتوزيع، الأردن، 2014، ص 13.

[3] نفس المرجع، ص 23.

[4] عبد القادر لورسي، **الدليل في الإبستمولوجيا وتدريس العلوم**، دار جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017، ص21.

4 –مساعي الإبستمولوجيا وإدراك المشكلة في الدراسات الإنسانية:

يلتقي التفكير الإبستمولوجي في ملتقى عدة مساع تهدف أساسا إلى إكساب البحوث والدراسات الصبغة العلمية عبر مختلف المراحل التي يمر بها البحث، بداية من اختيار موضوع البحث و إدراك المشكلة التي يقرر الباحث معالجتها والوصول إلى حلول لها، وهذا لن يتم بالشكل المطلوب دون الأخذ بعين الاعتبار مساعي الإبستمولوجيا التي يمكن أن نحددها على الشكل التالي[1]:

– مسعى ذو نمط فلسفي: يدرس بكيفية نقدية أسس المعرفة والمناهج العلمية التي تتساءل عن الأصح فيما يخص شروط الوصول إلى الحقيقة والتي تتساءل أيضا حول القواعد المنطقية المستخدمة من طرف العقل الإنساني.

– مسعى ذو نمط علمي: يتساءل في نطاق المجال الموادي الخاص مثلا فيزياء، بيولوجيا، تاريخ، لسانيات، وعن العمليات والكيفيات المطلوب استخدامها لإنتاج معارف علمية وجيهة، صادقة ومعترف بها من طرف الجماعات العلمية ذات المرجعية.

–م سعى يهتم أساسا بالبعد الإنساني: لبناء المعارف العليمة، يتساءل عن التأثيرات التي يمكن أن يحدثها السياق التاريخي والسياق الاجتماعي الثقافي وشخصية الباحث، على النشاط العلمي نفسه، وهي انشغالات تعود بشكل عام إلى تاريخ العلوم وعلم الاجتماع وإلى علم النفس.

وإلى جانب المساعي سابقة الذكر، تقترح الإبستمولوجيا أربعة حقول محددة للتحليل والتفكير تعتبر بمثابة علامات يهتدي بها الباحث خلال عمله، هي[2]:

– طبيعة وبنية المفاهيم والنظريات العلمية، مما نسميه أحيانا تركيب النظريات
– موضوع ونطاق ومعنى المفاهيم والنظريات العلمية، وهو ما نسميه سيمياء دلالة النظريات
– المنهج العلمي
– حدود وقيمة المشروع العلمي

---

[1] نفس المرجع، ص 23.

[2] شهرزاد لمجد، **اتصال الأزمات ودوره في إدارة وتسيير المؤسسات الإعلامية العربية، دراسة وصفية تحليلية مقارنة لقناتي الجزيرة والعربية**، أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، 2017-2018، ص62.

رابعا: التموقع الإبستمولوجي للباحث ومواجهة العقبات الإبستمولوجية

1-التموقع الإبستمولوجي للباحث في العلوم الإنسانية :

التموقع الإبستمولوجي هو الإطار العام المرجعي أو البارادیغم الإبستمولوجي للمعرفة الذي يتخذه الباحث إطارا مرجعيا في البحث، حيث أن التموقع الإبستمولوجي الذي يختاره الباحث هو الذي يوجه فكره وأفعاله وأدواته المنهجية .[1]

إن التموقع الإبستمولوجي يجعل الباحث مضطرا إلى مواجهة العديد من العقبات وتجاوزها والتي أطلق عليها "غاستون باشلار" " العقبات الإبستمولوجية" وهي العوائق التي من شأنها أن تصعب من مهمة الباحث والتي يجب تجاوزها من أجل تحقيق التقدم العلمي، لكن "باشلار" ربط هذه العقبات بمفهوم آخر من الضروري على الباحث أخذه بعين الاعتبار هو "القطيعة الإبستمولوجيا" وهي من أكثر المفاهيم شهرة لما نكون بصدد البحث في مواضيع الإبستمولوجيا وتطوير البحث العلمي، ذلك أن القطيعة الإبستمولوجية هي مرحلة حاسمة في مراحل الدراسة يكون الباحث مضطرا للمرور بها إذا أراد إضفاء الصبغة العلمية على بحوثه خاصة في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

والتساؤل الإبستمولوجي أصبح عبارة عن ضرورة تطرح في أي مشروع بحثي، لأن الغرض منه هو تطوير المعارف والتساؤل عما تكون المعرفة والإشكاليات التي تنطلق منها، والفروض الأساسية التي تستند إليها، والمناهج والأدوات التي تستخدمها [2]، فإذا كان لزاما على العلوم الاجتماعية الاهتمام بمسائل المنهج، فهذا لا يلغي ضرورة أن تطرح هذه العلوم قضايا إبستمولوجية تم إغفالها من طرف فلسفة العلوم . فكل تخصص لديه تساؤلاته الإبستمولوجية الخاصة به، ورؤيته الخاصة للمعرفة العلمية، طبيعته، حدوده وإمكاناته، ومفهومه في التجربة الإنسانية، وعلاقة هذه المعرفة بالمعرفة العامة، وما الذي يميز هذا العلم عن باقي أنواع المعرفة الأخرى .

---

[1] سعيد لوصيف، **التفكير المنهجي في الظواهر الاتصالية: التعقيد، التجاسر المعرفي بين التخصصات والتموقع الإبستمولوجي**،، في نصر الدين لعياضي، **التفكير في منهجيات دراسة الإعلام والاتصال في المجتمع الجزائري: التموقعات الإبستمولوجية والتقاطعات المعرفية**، مخبر استخدامات وتلقي المنتجات الإعلامية و الثقافية في الجزائر، كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجدزائر 3، 2016.

[2] شهرزاد لمجد، **اتصال الأزمات ودوره في إدارة وتسيير المؤسسات الإعلامية العربية، دراسة وصفية تحليلية مقارنة لقناتي الجزيرة والعربية**، أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، 2017-2018، ص 63.

فكل علم لديه ذاكرته الخاصة به تضم كل من مواقع نجاحه كما مواقع فشله، مراحل الاستقرار التي شهدها تلك التي حقق فيها انجازات ثورية والتي تمثل هوية هذا العلم التي تنطلق منها الإشكالات التي يطرحها، والعلوم الاجتماعية تتراكم فيها كل أنواع الجدل المتعلقة بالمناهج والأدوات البحثية المستخدمة والمقاربات الكمية والكيفية.

وأهم الإشكاليات البحثية التي تأخذ بعين الاعتبار الأبعاد الإبستمولوجية للعلم، هي تلك النابعة من هذا التراكم وتلك الجدالات التي تشكل المعرفة في العلوم الاجتماعية.

ومن أهم الإشكالات التي تواجه الباحثين خلال مختلف مراحل البحث خاصة مرحلة تحددي التموقع الإبستمولوجي من الظاهرة المراد دراستها مقارنة بما سبق نجد ما أطلق عليه "غاستون باشلار" ب" العقبة الإبستمولوجية" والتي من الضروري التمكن من تجاوزها حتى يمضي البحث قدما، ومن الضروري أكثر هو أن يكون الباحث على درجة كافية من المعرفة بموضوع بحثه وبالعقبات التي من الممكن أن تواجهه خاصة في مرحلة تحددي إشكالية بحثه.

2- في ماهية العقبة الإبستمولوجية:

إن ابتكار "باشلار " لهذا المفهوم الفلسفي جاء نتيجة لعدم تقبله فكرة أن التاريخ كما يقدمه البعض هو تراكم متدرج ومعقد للأفكار واستبدل هذه الفكرة بفكرة أخرى تقول بان التاريخ يتقدم بالتغلب على الجهل والأخطاء التي تزيد من غموض المشكلات التي يحاول العقل التغلب عليها .

2-1 تعريف العقبة الإبستمولوجية:

يوضح "باشلار" مفهوم العقبة الإبستمولوجية كالتالي: أننا حينما نبحث عن الشروط النفسية التي تصاحب التقدم العلمي فانه سرعان ما تترسخ في أذهاننا هذه الفكرة و هي انه إذا ما أردنا فهم المعرفة العلمية فانه يجب علينا أن ندرسها في صورة عقبات معرفية . ولا نعني بهذه العقبات المعرفية العقبات الخارجية التي تتمثل في تعقد الظواهر وتلاشيها السريع وكذلك ضعف قدرات العقل الإنساني بل نعني بها تلك العقبات التي ترتبط ارتباطا عضويا داخليا

بفعل المعرفة نفسه و يمكننا أن نستخرج من فعل المعرفة الأسباب التي تؤدي تارة إلى ركودها وتارة أخرى إلى انتكاسها وهذا هو ما نطلق عليه لفظ **العقبة الإستمولوجية** [1].

إنها عبارة عن عوائق تكمن في عملية المعرفة ذاتها والتي هي مراحل النكوص والتباطؤ والاضطراب تظهر عبر مسيرة تكون الفكر العلمي في المرحلة ما قبل علمية بنوع من الضرورة الوظيفية، فالمعرفة العلمية هي التي تنتج بذلتها عوائق إبستمولوجية، والعائق الإبستمولوجي بهذا المعنى يصبح عرض اضطراب في العمل العلمي، وهو خطوات وميكانيزمات علمية طبيعية تخفي العوائق الإبستمولوجية، فالعائق الإبستمولوجي يقع على مستوى إشكالية العصر ومستوى المعرفة العلمية في كل فترة تاريخية بأكملها[2] .

لا يمكن أن يكون هناك عمل علمي دون أن تكون هناك عوائق إبستمولوجيا

2-2أهم العقبات الإبستمولوجية التي تواجه الباحثين :

خلال تقدم العلم وتطوره تظهر مع هذا التطور عوائق معرفية من صميم المعرف نفسها، ولابد من تجاوز هذه العقبات في عملية تكوين العقل العلمي وذلك من خلال الكشف عنها ومعرفتها، ويرى "غاستون باشلار" أن من أهم العقبات الإبستمولوجية[3]:

- **عقبة الاختبار الأول:** إن العقبة الأولى التي تقف أمام تكوين العقل العلمي هي عقبة الاختبار الأول، اختبار الموضوع قبل النقد وفوق النقد الذي يعتبر عنصرا من عناصر القول العلمي، والاختبار الأول هو المعرفة الحسية المباشرة بالشيء من خلال ما تمدنا به الحواس من معطيات في عملية اتصالها بالطبيعة الخارجية، وهذه المعرفة غير خاضعة لأي تفكير نقدي، بحيث تكون معرفة علمية عامة غير دقيقة لتشكل عائقا أمام العقل العلمي ومن الضروري تجاوز هذا العائق من خلال استخدام النقد والتفكير النقدي في المعرفة وفي هذا العائق من أجل تجاوزه والبحث عن عوائق أخرى .

روبير بلانشيه، **نظرية المعرفة العلمية (الإبستمولوجيا)**، ترجمة، حسن عبد الحميد، مطبوعات الجامعة، الكويت، 1986، ص 25.[1]

إبراهيم رزوق، **إبستمولوجيا العلوم الاجتماعية ومناهجها العلمية**، مديرية الكتب والمطبوعات، جامعة تشرين، 2006-2005، ص 340.[2]

[2]إبراهيم رزوق، علاء ناصر، **مفهوم العقبة الإبستمولوجية عند غاستون باشلاروأشكالها الأساسية**، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 40، العدد 1، 2018، ص ص 375-360.

– **عقبة التعميم**: التعميم حسب "باشلار" يشكل عائقا إبستمولوجيا أما تكوين العقل العالمي، فلم يوقف حسبه عجلة تقدم المعرفة العلمية سوى ما أطلق عليه بعقيدة العامة الباطلة، حيث ثمة خطر في المتعة الفكرية لدى البشر بالتعميم السريع والبسيط وهذا يقود إلى تعميمات سيئة تبقى في عقول البشر مدة طويلة من الزمن. وعلى سبيل المثال نذكر : التعميم بأن الأجسام كلها تسقط إلى الأرض، على الرغم من أنه في الواقع هناك أجسام لا تسقط إلى الأرض مثل الدخان والبخار لا،ها خفيفة، بينما الأجسام الثقيلة هي التي تسقط، إلا أن العلماء قالوا بأن الأجسام كلها دون استثناء تسقط إلى الأرض وهذا التعميم متسرع.

– **العقبة اللفظية**: هناك بعض العادات اللفظية التي هي بمثابة عقبات أما تطور الفكر العلمي من حيث أنها: "إحدى أهم المشكلات التي على العقل العلمي التغلب عليها لكي يتمكن من واقعه وتحديد مناهجه.

ويشبه "باشلار"المعرفة العامة بالإسفنجة التي تمتص جميع المعارف العمومية والشائعة دون إخضاعها لاختبار نقدي علمي لكي تصبح معرفة علمية، بالتالي تبقى المعرفة العلمية في حالة امتصاص لكل ما يأتي من معارف عامة حتى تمتلئ مثل الإسفنجة وتصبح غير قابلة للضغط، حيث يتم بعدها إخضاع كل تلك المعارف إلى الفحص العملي أو الاختبار العلمي وقياسها بالمقاييس والقوانين العلمية .

– **عقبة المعرفة الموحدة أو المنفعية**: تقوم على تعميمات ذات أساس منفعي، وتشكل الوحدة عائق إبستمولوجي معرفي لأنها مؤسسة على عامل المنفعة الذي يقوم على أساسه التعميم . بالتالي فإن الفكر الذي يسعى إلى أن يوجد تفسير الظواهر وأن يقدم معرفة عامة فيعطي الأولوية للتعميم على مراعاة اختلاف وتنوع الظواهر سيتحول مسعاه هذا إلى عائق معرفي.

– **عقبات المعرفة الكمية**: إن المعرفة المباشرة مغلوطة نوعا ما لأنها كيفية، وتقدم معرفة خاطئة يجب تصحيحها عندما تشحن الموضوع بانطباعات ذاتية حتما وبالتالي لا مفر من تحرير المعرفة الموضوعية من هذه الانطباعات . فالمعرفة المباشرة هي ذاتية من أساسها إذ أنها تعتبر الواقع هو المصدر الوحيد لها، وهي بذلك تقدم توكيدات من شأنها أن تعيق المعرفة الموضوعية أكثر مما تخدمها . وهذا لا يعني هنا استثناء المعرفة الكمية، فهي أيضا ليست موضوعية تماما.

وإن ما يعيق الفكر العلمي المعاصر هو التصاقه بالحدوس الشائعة التي تخلو من الموضوعية العلمية، ولابد للعقل العملي من أن يجمع بين المرونة والدقة، وبالتالي يكون قادرا على أن يستعيد جميع بناءاته عندما يتناول مجددا

ميادين جديدة وأن لا يفرض في كل مكان شرعية المقدار الكمي المألوف، حيث أن ما يجعل المعرفة الكمية غير موضوعية هو غياب أداة القياس الدقيقة ، وبالتالي فبقدر ما تزيد دقة الأدوات ستكون حصيلتها العلمية أفضل تحديدا وتصبح المعرفة الموضوعية ممكنة بقدر ما تصبح الوسيلة وأداة القياس دقيقة.

خامسا: القطيعة الإبستمولوجية في سبيل تحقيق تموقع إبستمولوجي للباحث :

تطور المعرفة العلمية لا يستند دائما على نفس المفاهيم التي تحملها التطورات العلمية في عصر من العصور أو في فترة من فترات تطورات العلم، بل إنه تطور يستند على إعادة بناء المفاهيم والتصورات والنظريات العلمية وإعادة تعريفها وإعطائها مضمونا جديدا[1].

المقصود بالقطيعة الإبستمولوجية أننا لا يمكن أن نجد أي ترابط أو اتصال بين المعارف القديمة والجديدة، حيث أن ما قبل وما بعد يشكلان عالمين من الأفكار كل منهما غريب عن الآخر فهنالك اختلاف جذري بين ما قبل القطيعة وما بعدها.

وتأتي الإبستمولوجيا بمعنى رفض التسليم بما هو سائد ومعتاد عليه لصالح ما لم يتم التطرق غليه، حيث أن تطور العلم يهدم المبادئ العلمية الراسخة التي كان ينظر إليها كمبادئ أساسية في العلم، لكن يجب أن ننتبه إلى أن العلم في تطوره وتقدمه لا يهدم المبادئ الأساسية التي أثبتت صحتها تجريبيا، حيث يتم النظر إلى هذه المبادئ على أنها ضرورية ولا غنى عن الاستفادة منها واستخدامها في المبادئ العلمية الحديثة[2].

ولكل مرحلة علمية خصائصها وسماتها،حيث يرفض "باشلار" أن يكون هناك استمرارية بين المعرفة الحسية والعامية من جانب والمعرفة العلمية من جانب آخر، كما يرفض أن يكون ثمة استمرارية بين الفكر العلمي القديم والفكر العلمي المعاصر ، فالقطيعة الإبستمولوجية هي الانتقال مما هو سائد ومتعارف عليه تقليديا والتفكير به بطريقة مختلفة والوصول إلى مفاهيم ومبادئ جديدة تنفصل عما كان سائدا لتعود مرة أخرى إلى هذه المعرفة وتظهر من خلالها عوائق إبستمولوجية جديدة وهكذا دواليك.

---

[1] محمد الجابري، **مدخل إلى فلسفة العلوم**، دار الطليعة، بيرةت، 1982، ص 37.

[2] إبراهيم رزوق، علاء ناصر، **مفهوم العقبة الإبستمولوجية عند غاستون باشلاروأشكالها الأساسية**، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 40، العدد 1، 2018، ص 361.

والقطيعة الإبستمولوجية هي الانتقال مما هو سائد ومتعارف عليه تقليديا والتفكير به بطريقة مختلفة أو بطريقة لم نفكر فيها أصلا والوصول إلى مفاهيم و أسس جديدة تنفصل عما كان سائدا لتعود مرة أخرى هذه المعرفة وتظهر من خلالها عوائق ابستيمولوجية جديدة وهكذا دواليك.

و مما سبق يمكن القول بأن إحداث قطيعة مع سبق قد يكون هو الحل الوحيد أمام الباحث لكي يتمكن من إدراك الظواهر الإنسانية والاجتماعية بشكل مختلف عمن سبقوه، والانطلاق من إشكاليات قادرة على الخروج بنتائج مختلفة وتقديم منطلقات جديدة للباحثين مستقبلا . كما أن القطيعة تمكن الباحث من تجاوز الكثير من العقبات والصعوبات التي قد تواجهه خلال مختلف مراحل البحث.

والواقع أن مختلف مراحل البحث تكتسي نفس الأهمية مثل تحديد الموضوع وإدراك المشكلة، لكن تبقى للإشكالية ميزة خاصة وهي كونها حجر الأساس الذي سوف يبنى عليه البحث انطلاقا من التساؤلات ووصولا إلى النتائج.

خاتمة:

إن من الإشكاليات الأساسية التي تواجه الباحثين في العلوم الإنسانية تصعب عليهم عملية تحديد تموقعهم الإبستمولوجي تجاه الظاهرة المراد دراستها هي إشكالية الفصل بين الذات والموضوع، فالإنسان في هذه العلوم هو الباحث وموضوع البحث في الوقت نفسه، على عكس العلوم الطبيعية حيث يكون الباحث خارج الظاهرة التي يلاحظها ويتناولها بالدراسة . ويواجه الباحث في العلوم الإنسانية إشكالات متعلقة بموضوع الدراسة وبالظروف المتغيرة المحيطة به، كما أن الحياة الإنسانية والاجتماعية عموما تتميز بالتعقيد وبصعوبة التنبؤ بها وإصدار الأحكام حولها. وترجع أهمية الاقتراب الإبستمولوجي في الدراسات الإنسانية إلى إضفاء طابع العلمية عليها إشكالية ومنهجا وأدواتا ونتائجا، من أجل الوصول قدر الإمكان إلى مستوى علمية العلوم الطبيعية .

قائمة المراجع

1- إبراهيم رزوق، **ابستمولوجيا العلوم الاجتماعية ومناهجها العلمية**، مديرية الكتب والمطبوعات، جامعة تشرين، 2005-2006.

2- إبراهيم رزوق، علاء ناصر، **مفهوم العقبة الابستمولوجية عند غاستون باشلار وأشكالها الأساسية**، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 40، العدد 1، 2018.

3- أحمد بدر، **أصول البحث العلمي ومناهجه**، المكتبة الأكاديمية، د ب ن،2017 .

4-جنان محمد أحمد، **الابستمولوجيا المعاصرة وبنائية تشكيل فنون ما بعد الحداثة**، ط1، إثراء للنشر والتوزيع، الأردن، 2014.

5- رقية بوسنان، **مشكلة البحث، المفهوم، الصياغة، الخصائص**، مجلة الباحث الإعلامي، المجلد 10، العدد 39 ،2018، جامعة بغداد.

6- روبير بلانشيه، **نظرية المعرفة العلمية (الابستمولوجيا)**، ترجمة، حسن عبد الحميد، مطبوعات الجامعة، الكويت، 1986.

7-سعيد سبعون، **الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع**،ط1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2012.

8-سعيد لوصيف، **التفكير المنهجي في الظواهر الاتصالية: التعقيد، التجاسر المعرفي بين التخصصات والتموقع الابستمولوجين**، في نصر الدين لعياضي، **التفكير في منهجيات دراسة الإعلام والاتصال في المجتمع الجزائري: التموقعات الابستمولوجية والتقاطعات المعرفية**، مخبر استخدامات وتلقي المنتجات الإعلامية و الثقافية في الجزائر، كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجدزائر 3، 2016.

9- شارل هس بيير، باتريشيا ليفي، **البحوث الكيفية في العلوم الإجتماعية**، ترجمة، هناء الجوهري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011.

10- شهرزاد لمجد، **اتصال الأزمات ودوره في إدارة وتسيير المؤسسات الإعلامية العربية، دراسة وصفية تحليلية مقارنة لقناتي الجزيرة والعربية**، أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، 2017-2018

11-عبد القادر لورسي، **الدليل في الابستمولوجيا وتدريس العلوم**، دار جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017.

12-عبيدات ذوقان، **البحث العلمي: مفهومه وأدواته وأساليبه**، دار الفكر، عمان، 2003.

13-لويزة سعيد، **إشكالية طرح إشكالية محكمة (ممنهجة) في العلوم الاجتماعية**، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 20، جوان 2018، جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف، الجزائر.

14-محمد الجابري، **مدخل إلى فلسفة العلوم**، دار الطليعة، بيروت، 1982.

15-محمد الغالي، **المختصر في أسس ومناهج البحث في العلوم الاجتماعية**، ط1، مكتبة المعرفة، مراكش، 2005.

16- محمد سيد حمزاوي، **اختيار وصياغة مشكلات البحث في العلوم الإدارية والأمنية**، ورقة بحث مقدمة للملتقى العلمي الأول: تجويد الرسائل والأطروحات العلمية وتفعيل دورها في التنمية الشاملة والمستدامة، 10-2011/10/12، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية.

17- محمد محمود ربيع وآخرون، **موسوعة العلوم السياسية**، جامعة الكويت، الكويت، 1994

18-Andre Gosselin ; La notion de problématique en sciences sociales ; in communicatio, et informatio,Media théories,Volume 15 n 02, automne, 1994